العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

النمو الحضري العشوائي وتأثيره على استعمالات الأرض في مدينة بغداد

امير كريم عطية المنصوري
قسم الجغرافية والتخطيط العمراني, كلية العلوم الإنسانية, جامعة ازاد فرع نجف اباد ,نجف اباد, ايران

الملخص

شهدت مدينة بغداد خلال العقود الأخيرة توسعاً حضرياً متسارعاً رافقه انتشار واضح للنمو العشوائي نتيجة الزيادة السكانية والهجرة الداخلية وضعف التخطيط الحضري وغياب الرقابة على استعمالات الأرض. وقد أدى هذا النمو إلى تغييرات مكانية ووظيفية في بنية المدينة، تمثلت في التجاوز على الأراضي الزراعية والخدمات العامة، وظهور مناطق سكنية غير مخططة، فضلاً عن الضغط المتزايد على البنية التحتية والخدمات الحضرية. يهدف هذا البحث إلى تحليل مظاهر النمو الحضري العشوائي في مدينة بغداد وبيان تأثيره على أنماط استعمالات الأرض، مع دراسة العوامل المؤدية إليه والنتائج المترتبة عليه من النواحي العمرانية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي باستخدام البيانات الإحصائية والخرائط والصور الفضائية وتحليل التوسع الحضري ضمن حدود مدينة بغداد. توصلت الدراسة إلى أن النمو العشوائي أسهم في اختلال التوازن الوظيفي لاستعمالات الأرض وتراجع كفاءة التخطيط الحضري، وأوصت بضرورة اعتماد سياسات تنموية مستدامة وتحديث المخططات الأساسية وتعزيز الرقابة القانونية للحد من التجاوزات العمرانية.

الكلمات المفتاحية: النمو الحضري العشوائي، استعمالات الأرض، التوسع العمراني، التخطيط الحضري، مدينة بغداد، العشوائيات، الجغرافية الحضرية، التنمية الحضرية.

Random Urban Growth and Its Impact on Land Use in the City of Baghdad

Amer Kareem Atiyat Al-Mansouri
Department of Geography and Urban Planning, Faculty of Humanities, Azad University, Najafabad Branch, Najafabad, Iran

Abstract

Over recent decades, the city of Baghdad has witnessed rapid urban expansion accompanied by a clear spread of random (informal) urban growth, driven by population increase, internal migration, weak urban planning, and the absence of oversight regarding land use. This growth has produced spatial and functional changes in the city's structure, including encroachment on agricultural lands and public services, the emergence of unplanned residential areas, and the escalating pressure on urban infrastructure and services.
This research aims to analyze the manifestations of random urban growth in Baghdad and to clarify its impact on land-use patterns, while examining the factors leading to it and the resulting outcomes in urban, economic, social, and environmental terms. The study adopts the analytical descriptive approach using statistical data, maps, satellite imagery, and analysis of urban expansion within the administrative boundaries of Baghdad.
The findings indicate that random urban growth contributes to disruption in the functional balance of land uses and to a decline in the efficiency of urban planning. The study recommends the adoption of sustainable development

policies, updating master plans, and strengthening legal oversight to limit urban encroachments.

1.1.1 **Keywords** : Random Urban Growth; Land Use; Urban Expansion; Urban Planning; City of Baghdad; Informal Settlements; Urban Geography; Urban Development.

2 المقدمة

تُعد المدن الكبرى مراكز رئيسة للنشاط السكاني والاقتصادي والإداري، إذ تشهد تغيرات مكانية ووظيفية مستمرة نتيجة النمو السكاني والتوسع العمراني المتزايد. ويُعد النمو الحضري من الظواهر الطبيعية الملازمة لتطور المدن، إلا أن غياب التخطيط الحضري الفعال يؤدي إلى تحوله نحو نمو عشوائي ينعكس سلباً على البيئة الحضرية واستعمالات الأرض والخدمات العامة. وقد أصبحت ظاهرة النمو الحضري العشوائي من أبرز التحديات التي تواجه المدن في الدول النامية، لاسيما مع تزايد معدلات الهجرة الريفية والتوسع السكاني السريع وضعف السياسات التخطيطية والإدارية.

وتُعد مدينة بغداد من أكثر المدن العراقية تعرضاً للتوسع الحضري العشوائي خلال العقود الأخيرة، نتيجة التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدها العراق، إذ أدى ذلك إلى ظهور مناطق سكنية غير مخططة وانتشار التجاوزات على الأراضي الزراعية والخدمية، فضلاً عن تداخل الاستعمالات الحضرية بصورة أثرت في كفاءة البنية التحتية والخدمات العامة. وقد انعكس هذا التوسع بشكل واضح على أنماط استعمالات الأرض داخل المدينة، مما تسبب في تغيرات مكانية ووظيفية أثرت في الهيكل الحضري العام لمدينة بغداد.

إن استعمالات الأرض الحضرية تُعد من المؤشرات الأساسية التي تعكس طبيعة التنظيم الحضري للمدينة، إذ تتوزع الأنشطة السكنية والتجارية والصناعية والخدمية وفق أسس تخطيطية تهدف إلى تحقيق التوازن الوظيفي والكفاءة المكانية. إلا أن النمو العشوائي يؤدي غالباً إلى اختلال هذا التوازن من خلال الزحف العمراني غير المنظم، والتجاوز على الأراضي الزراعية، وزيادة الكثافات السكانية، وظهور مناطق تفتقر إلى الخدمات الأساسية. كما أن ضعف الرقابة والتخطيط الحضري أسهم في تفاقم هذه المشكلات، الأمر الذي جعل من دراسة النمو الحضري العشوائي ضرورة علمية وعملية لفهم آثاره وإيجاد الحلول المناسبة لمعالجته.

وفي هذا السياق، أشارت دراسة (Al-Azzawi, 2018) إلى أن التوسع الحضري غير المنظم في مدينة بغداد أدى إلى تغيرات كبيرة في أنماط استعمالات الأرض، خصوصاً في الأطراف الحضرية التي شهدت تجاوزات واسعة على الأراضي الزراعية، كما أكدت الدراسة أن غياب التخطيط الحضري الفعال كان من أبرز أسباب تفاقم ظاهرة العشوائيات. كذلك بينت دراسة (UN-Habitat, 2020) أن المدن العربية التي تعاني من النمو الحضري السريع تواجه تحديات تتعلق بتوفير الخدمات الأساسية والبنية التحتية، وأن استمرار النمو العشوائي يؤدي إلى تراجع جودة الحياة الحضرية وارتفاع معدلات التلوث البيئي والازدحام السكاني.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تسلط الضوء على ظاهرة حضرية متفاقمة تؤثر بصورة مباشرة في مستقبل التنمية الحضرية في مدينة بغداد، من خلال تحليل أسباب النمو الحضري العشوائي وآثاره على استعمالات الأرض، مع محاولة تقديم معالجات تخطيطية تسهم في الحد من هذه الظاهرة وتحقيق تنمية حضرية أكثر استدامة. كما تسعى الدراسة إلى تقديم إطار علمي يمكن الاستفادة منه في دعم صناع القرار والمؤسسات التخطيطية عند إعداد الخطط العمرانية المستقبلية.

3 الدراسات السابقة

حظيت ظاهرة النمو الحضري العشوائي وتأثيرها على استعمالات الأرض باهتمام واسع في الدراسات الحضرية والجغرافية، لما لها من انعكاسات مباشرة على البنية العمرانية والبيئية والاجتماعية للمدن. وقد تناولت العديد من الدراسات المحلية والعربية والعالمية موضوع التوسع الحضري والعشوائيات وتحولات استعمالات الأرض من زوايا مختلفة، وفيما يأتي عرض لأبرز الدراسات السابقة المرتبطة بموضوع البحث الحالي:

1- دراسة Al-Azzawi (2018)

هدفت الدراسة إلى تحليل التوسع الحضري في مدينة بغداد وبيان تأثيره على استعمالات الأرض الزراعية والحضرية، واعتمدت على تحليل الصور الفضائية ونظم المعلومات الجغرافية (GIS). أظهرت النتائج وجود توسع عمراني غير منظم في أطراف المدينة أدى إلى تقلص الأراضي الزراعية وازدياد التجاوزات السكنية، كما أكدت الدراسة ضعف الرقابة التخطيطية في الحد من النمو العشوائي.

2- دراسة UN-Habitat (2020)

تناولت الدراسة واقع النمو الحضري في المدن العربية وتأثير التوسع غير المنظم على التنمية المستدامة. وأشارت النتائج إلى أن العشوائيات تمثل أحد أهم التحديات الحضرية بسبب الضغط المتزايد على الخدمات والبنية التحتية، فضلاً عن تأثيرها السلبي في استعمالات الأرض والتوازن الوظيفي داخل المدن.

3- دراسة Al-Maliki and Hassan (2019)

بحثت الدراسة في أثر النمو السكاني على التوسع الحضري في مدينة بغداد باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد. وأوضحت النتائج أن الزيادة السكانية والهجرة الداخلية أدتا إلى توسع المناطق السكنية العشوائية على حساب الأراضي المفتوحة والزراعية.

4- دراسة Al-Quraishi (2021)

ركزت الدراسة على التغيرات المكانية لاستعمالات الأرض في مدينة بغداد خلال المدة (2003–2020)، واعتمدت على التحليل المكاني باستخدام نظم المعلومات الجغرافية. وتوصلت إلى أن النمو الحضري العشوائي تسبب في اختلال واضح في توزيع الاستعمالات الحضرية، خصوصاً في المناطق الطرفية للمدينة.

5- دراسة World Bank (2022)

تناولت الدراسة التحديات الحضرية في مدن الشرق الأوسط، وبينت أن ضعف التخطيط الحضري وارتفاع معدلات النمو السكاني يسهمان في زيادة التوسع العشوائي. وأكدت الدراسة ضرورة اعتماد التخطيط المستدام لحماية استعمالات الأرض وتحسين جودة الحياة الحضرية.

6- دراسة Al-Janabi (2017)

هدفت الدراسة إلى تحليل العلاقة بين العشوائيات والتغيرات الاجتماعية في مدينة بغداد، وأظهرت النتائج أن المناطق العشوائية تعاني من نقص الخدمات الأساسية وضعف شبكات النقل والبنية التحتية، فضلاً عن التداخل غير المنظم في استعمالات الأرض.

7- دراسة Mustafa and Kareem (2023)

ركزت الدراسة على تقييم أثر التوسع الحضري على الأراضي الزراعية في ضواحي بغداد باستخدام تقنيات الاستشعار عن بعد والخرائط الرقمية. وأشارت النتائج إلى فقدان مساحات زراعية واسعة نتيجة الزحف العمراني العشوائي خلال السنوات الأخيرة.

8- دراسة OECD (2021)

بحثت الدراسة في قضايا التنمية الحضرية المستدامة في المدن النامية، وأوضحت أن غياب الإدارة الحضرية المتكاملة يؤدي إلى سوء توزيع استعمالات الأرض وارتفاع معدلات التلوث والازدحام العمراني.

9- دراسة Al-Dulaimi (2020)

تناولت الدراسة أثر الهجرة الداخلية في نمو العشوائيات بمدينة بغداد، وأكدت أن الظروف الاقتصادية والسياسية أسهمت في زيادة الكثافة السكانية داخل المناطق غير المخططة، مما أدى إلى ضغط متزايد على الخدمات الحضرية.

10- دراسة UNDESA (2022)

تناولت الدراسة الاتجاهات العالمية للتحضر وتأثيرها في المدن الكبرى، وأشارت إلى أن المدن التي تشهد نمواً حضرياً سريعاً دون تخطيط فعال تعاني من تدهور بيئي وتراجع في كفاءة استعمالات الأرض والخدمات العامة.

من خلال استعراض الدراسات السابقة يتضح أن معظم الدراسات أكدت وجود علاقة مباشرة بين النمو الحضري العشوائي والتغيرات التي تطرأ على استعمالات الأرض، خصوصاً في المدن الكبرى التي تعاني من الزيادة السكانية وضعف التخطيط الحضري. كما أظهرت الدراسات أن التوسع غير المنظم يؤدي إلى تقلص الأراضي الزراعية وظهور مناطق سكنية عشوائية تفتقر إلى الخدمات الأساسية، فضلاً عن اختلال التوازن الوظيفي داخل المدينة.

وعلى الرغم من أهمية الدراسات السابقة، إلا أن الدراسة الحالية تتميز بتركيزها على مدينة بغداد بوصفها حالة حضرية معقدة شهدت تحولات مكانية وعمرانية كبيرة خلال السنوات الأخيرة، مع محاولة الربط بين النمو الحضري العشوائي واستعمالات الأرض من منظور جغرافي حضري وتنموي، فضلاً عن تقديم معالجات تخطيطية يمكن أن تسهم في الحد من الظاهرة وتحقيق التنمية الحضرية المستدامة.

4 مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في تزايد النمو الحضري العشوائي في مدينة بغداد وما نتج عنه من تغيرات غير منظمة في استعمالات الأرض، الأمر الذي أدى إلى اختلال البنية الحضرية وتراجع كفاءة التخطيط العمراني والخدمات العامة.

5 فرضية البحث

يفترض البحث أن النمو الحضري العشوائي في مدينة بغداد أدى إلى تغيرات سلبية في أنماط استعمالات الأرض، تمثلت في التوسع غير المنظم والتجاوز على الأراضي الزراعية والخدمية، مما انعكس على كفاءة الوظائف الحضرية للمدينة.

6 أهداف البحث

١. التعرف على مفهوم النمو الحضري العشوائي وأسبابه.
٢. تحليل مراحل التوسع الحضري في مدينة بغداد.
٣. دراسة تأثير النمو العشوائي على استعمالات الأرض الحضرية.
٤. تحديد الآثار البيئية والاجتماعية والاقتصادية للنمو العشوائي.
٥. اقتراح حلول تخطيطية للحد من التوسع العشوائي وتحقيق التنمية المستدامة.

7 أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في:

- إبراز خطورة النمو الحضري العشوائي على مستقبل مدينة بغداد.
- تقديم تحليل جغرافي حضري لاستعمالات الأرض المتأثرة بالتوسع العشوائي.
- دعم المؤسسات التخطيطية بنتائج تساعد في إعداد سياسات تنموية فعالة.
- الإسهام في الدراسات الحضرية المتعلقة بالتنمية المستدامة وإدارة المدن.

8 منهجية البحث

اعتمدت الدراسة الحالية على مجموعة من المناهج والأساليب العلمية المتكاملة التي تتلاءم مع طبيعة موضوع البحث والمتمثل بظاهرة النمو الحضري العشوائي وتأثيرها على استعمالات الأرض في مدينة بغداد، إذ إن دراسة الظواهر الحضرية تتطلب الجمع بين التحليل الوصفي والمكاني للوصول إلى نتائج دقيقة تعكس الواقع الفعلي للمدينة وما شهدته من تغيرات عمرانية خلال السنوات الأخيرة. وقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المكاني، فضلاً عن توظيف الخرائط والصور الفضائية والبيانات الإحصائية وتحليل الدراسات السابقة والمخططات الأساسية، وذلك كما يأتي:

أولاً: المنهج الوصفي التحليلي

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي بوصفه أحد أهم المناهج المستخدمة في الدراسات الجغرافية والحضرية، حيث يهدف إلى وصف الظاهرة الحضرية (النمو الحضري العشوائي) وصفاً دقيقاً، ثم تحليل أبعادها وأسبابها ونتائجها المختلفة. ويسهم هذا المنهج في تفسير التغيرات التي طرأت على استعمالات الأرض داخل مدينة بغداد من خلال دراسة العوامل المؤثرة في التوسع العمراني غير المخطط، وتحليل انعكاساته على الجوانب العمرانية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

وقد تم استخدام هذا المنهج في تحليل طبيعة النمو الحضري داخل المدينة، والكشف عن خصائص المناطق العشوائية، ومستوى التداخل في استعمالات الأرض، إضافة إلى دراسة تأثير الزيادة السكانية والهجرة

الداخلية وضعف التخطيط الحضري في توسع المناطق السكنية غير النظامية. كما ساعد هذا المنهج في تفسير العلاقة بين النمو العشوائي وتراجع كفاءة الخدمات العامة والبنية التحتية داخل المدينة.

ثانياً: المنهج المكاني

اعتمدت الدراسة على المنهج المكاني لتحليل التغيرات التي طرأت على استعمالات الأرض في مدينة بغداد، من خلال دراسة التوزيع الجغرافي للأنشطة السكنية والتجارية والصناعية والخدمية، وتحليل أنماط التوسع العمراني عبر فترات زمنية مختلفة.
ويُعد المنهج المكاني من المناهج الأساسية في الدراسات الحضرية، إذ يركز على تحليل العلاقات المكانية بين الظواهر الجغرافية، وبيان اتجاهات التغير في استعمالات الأرض داخل المدينة. وقد تم توظيفه للكشف عن مناطق النمو العشوائي الأكثر انتشاراً، وتحديد أثرها على الأراضي الزراعية والمساحات المفتوحة، إضافة إلى تحليل الامتداد العمراني نحو أطراف مدينة بغداد.
كما أسهم هذا المنهج في توضيح الاختلال الوظيفي في استعمالات الأرض الناتج عن النمو العشوائي، من خلال تحليل التداخل بين الاستعمالات السكنية والتجارية والصناعية، وما يترتب عليه من ضغط متزايد على شبكات النقل والخدمات والبنية التحتية.

ثالثاً: استخدام الخرائط والصور الفضائية والبيانات الإحصائية

اعتمد البحث على مجموعة من الأدوات والوسائل الحديثة في تحليل الظاهرة الحضرية، تمثلت في الخرائط، والصور الفضائية، والبيانات الإحصائية، بهدف تعزيز الدقة العلمية في دراسة التغيرات المكانية لاستعمالات الأرض داخل مدينة بغداد.

1- الخرائط الحضرية

تم استخدام الخرائط الأساسية والمخططات الحضرية لمدينة بغداد لتوضيح حدود التوسع العمراني وتوزيع استعمالات الأرض، فضلاً عن تحديد مواقع المناطق العشوائية واتجاهات انتشارها. كما ساعدت هذه الخرائط في بيان التحولات المكانية التي شهدتها المدينة نتيجة النمو الحضري غير المخطط.

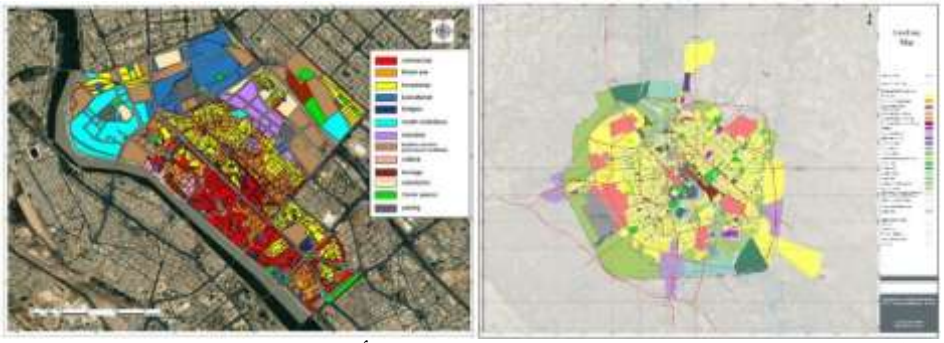

شكل (1): خريطة التوزيع المكاني لاستعمالات الأرض في مدينة بغداد
المصدر: أمانة بغداد

2- الصور الفضائية وتقنيات الاستشعار عن بعد

تم الاعتماد على الصور الفضائية وتقنيات الاستشعار عن بعد لرصد التغيرات العمرانية التي شهدتها مدينة بغداد خلال السنوات الأخيرة، حيث أسهمت هذه التقنيات في تحديد حجم واتجاهات التوسع العمراني، والكشف عن التجاوز على الأراضي الزراعية وتحولها إلى استعمالات سكنية عشوائية.

كما وفرت هذه الصور بيانات دقيقة حول الامتداد العمراني، مما ساعد في تحليل التغيرات المكانية بشكل موضوعي وعلمي.

شكل (2): صورة فضائية توضح التوسع الحضري في مدينة بغداد (قبل/بعد)
المصدر: Google Earth / Sentinel Hub

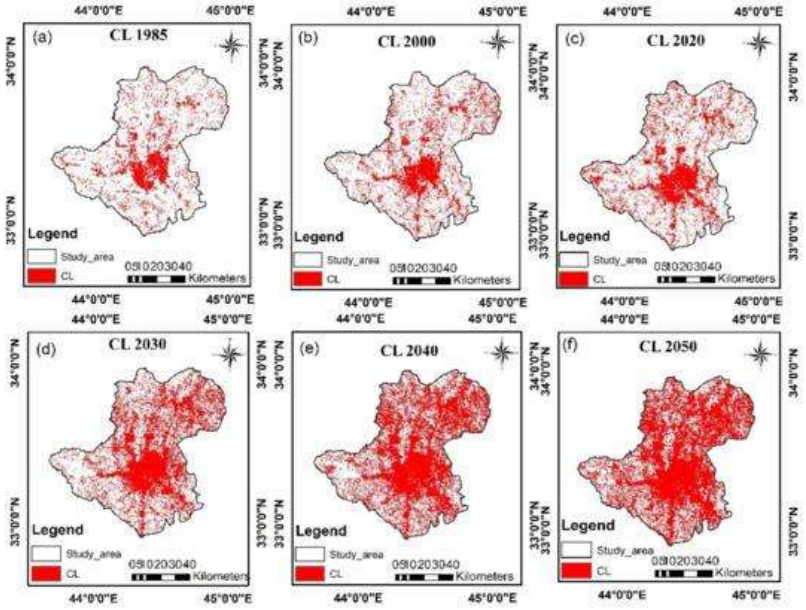

شكل (3): تغير استعمالات الأرض في أطراف مدينة بغداد باستخدام الصور الفضائية

3- البيانات الإحصائية

اعتمدت الدراسة على البيانات الإحصائية الصادرة عن الجهات الرسمية مثل وزارة التخطيط العراقية والجهاز المركزي للإحصاء وأمانة بغداد، وذلك لتحليل التغيرات السكانية والعمرانية داخل المدينة.
وقد استخدمت هذه البيانات في دراسة معدلات النمو السكاني والكثافة السكانية والهجرة الداخلية، وربطها بظاهرة النمو الحضري العشوائي وتأثيرها على استعمالات الأرض.

العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

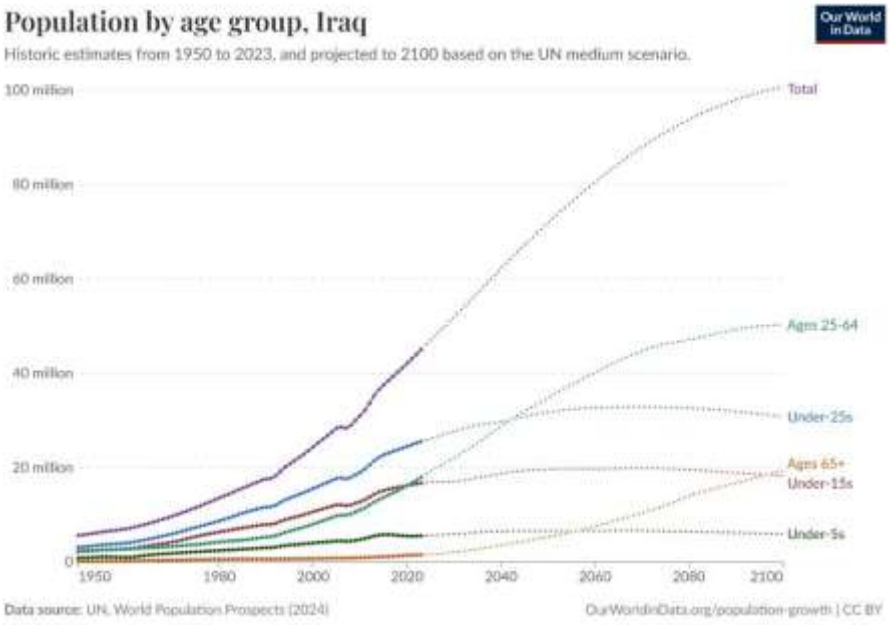

شكل (4): تطور النمو السكاني في مدينة بغداد (2000–2025)
المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء العراقي

رابعاً: تحليل الدراسات السابقة والمخططات الأساسية

اعتمد البحث على تحليل ومراجعة الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع النمو الحضري العشوائي واستعمالات الأرض، سواء المحلية أو العربية أو الأجنبية، بهدف الاستفادة من مناهجها ونتائجها، فضلاً عن إجراء مقارنة علمية بين تلك الدراسات ونتائج البحث الحالي.

كما تم تحليل المخططات الأساسية لمدينة بغداد بهدف دراسة مدى التوافق بين التخطيط الحضري النظري والواقع العمراني الفعلي، والكشف عن حجم التجاوزات على المخطط الأساس والتغيرات الحاصلة في استعمالات الأرض خارج الإطار التخطيطي الرسمي.

شكل (5): المخطط الأساس لمدينة بغداد ومناطق التوسع الحضري غير المخطط
المصدر: وزارة الإعمار والإسكان

المبحث الأول

الإطار النظري للنمو الحضري العشوائي

يُعد النمو الحضري العشوائي من أبرز المشكلات الحضرية المعاصرة التي تواجه المدن الكبرى، ولاسيما في الدول النامية التي تعاني من تزايد سكاني سريع وضعف في أدوات التخطيط والإدارة الحضرية. وقد أصبحت هذه الظاهرة ذات أبعاد عمرانية واجتماعية واقتصادية وبيئية متشابكة، لما تسببه من اختلال في استعمالات الأرض وتراجع كفاءة الخدمات والبنية التحتية، فضلاً عن تأثيرها المباشر في التنمية الحضرية المستدامة. وتبرز أهمية دراسة النمو الحضري العشوائي في مدينة بغداد بسبب التغيرات العمرانية الكبيرة التي شهدتها المدينة خلال العقود الأخيرة، والتي أدت إلى توسع عمراني غير منظم وانتشار العشوائيات في أطراف المدينة ومحيطها الحضري.

المطلب الأول

مفهوم النمو الحضري العشوائي

أولاً: مفهوم النمو الحضري

يُقصد بالنمو الحضري عملية التوسع المكاني والديموغرافي للمدن نتيجة الزيادة السكانية والتطور الاقتصادي والاجتماعي، إذ يؤدي هذا النمو إلى اتساع المناطق المبنية وازدياد حجم الأنشطة الحضرية داخل المدينة. ويُعد النمو الحضري ظاهرة طبيعية ترافق تطور المدن وتوسعها، إلا أن استمراره بصورة غير مدروسة يؤدي إلى مشكلات تنظيمية وخدمية تؤثر في كفاءة البيئة الحضرية.

وقد عرف Knox and McCarthy (2012) النمو الحضري بأنه "الزيادة المستمرة في حجم المدينة وعدد سكانها وما يرافقها من توسع في استعمالات الأرض والأنشطة الاقتصادية والخدمية". كما أشار Pacione (2009) إلى أن النمو الحضري يمثل انعكاساً مباشراً للتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تشهدها المدن الحديثة، إذ تتوسع المناطق الحضرية استجابة لحاجات السكان المتزايدة.

وفي حالة مدينة بغداد، ارتبط النمو الحضري بعوامل متعددة، من أبرزها التزايد السكاني والهجرة الداخلية والتحولات السياسية والاقتصادية، مما أدى إلى اتساع رقعة المدينة بصورة كبيرة، خصوصاً بعد عام 2003، حيث شهدت المدينة نمواً عمرانياً سريعاً تجاوز في كثير من الأحيان حدود المخططات الأساسية المعتمدة.

ثانياً: مفهوم العشوائيات والتوسع غير المنظم

تُعرف العشوائيات بأنها تجمعات سكنية تنشأ بصورة غير قانونية وخارج الأطر التخطيطية الرسمية، وغالباً ما تفتقر إلى الخدمات الأساسية والبنية التحتية الملائمة. وتظهر هذه المناطق نتيجة العجز في توفير السكن النظامي وارتفاع معدلات الفقر والهجرة إلى المدن، الأمر الذي يدفع السكان إلى إقامة مساكن غير نظامية على أراضٍ زراعية أو حكومية أو متروكة.

وقد عرفت منظمة الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية UN-Habitat (2020) العشوائيات بأنها "مناطق سكنية تفتقر إلى الحد الأدنى من الخدمات الأساسية والتخطيط الحضري المناسب، وتعاني من ضعف البنية التحتية وارتفاع الكثافات السكانية". كما يشير Hall (2014) إلى أن التوسع العمراني غير المنظم يمثل أحد مظاهر ضعف الإدارة الحضرية، إذ يؤدي إلى نمو مناطق سكنية غير متجانسة وظيفياً وعمرانياً.

وفي مدينة بغداد، ارتبط ظهور العشوائيات بالتغيرات الاقتصادية والسياسية التي مر بها العراق، فضلاً عن ضعف الرقابة الحكومية وازدياد الحاجة إلى السكن، مما أدى إلى انتشار أحياء عشوائية في أطراف المدينة وعلى حساب الأراضي الزراعية والمساحات المفتوحة.

ثالثاً: الفرق بين النمو الحضري المخطط والعشوائي

يختلف النمو الحضري المخطط عن النمو الحضري العشوائي من حيث الأسس التنظيمية والإدارية التي يقوم عليها كل منهما. فالنمو الحضري المخطط يعتمد على مخططات أساسية وسياسات تنظيمية تهدف إلى توزيع استعمالات الأرض بصورة متوازنة، مع توفير الخدمات والبنية التحتية بما يتلاءم مع احتياجات السكان المستقبلية.

أما النمو الحضري العشوائي فيتميز بغياب التنظيم والتخطيط، إذ يتم التوسع العمراني بصورة غير قانونية ومن دون مراعاة للمعايير التخطيطية، مما يؤدي إلى تداخل الاستعمالات الحضرية وظهور مشكلات بيئية وخدمية عديدة.

وقد أوضح Lynch (1960) أن المدينة المخططة تتميز بوضوح البنية المكانية وسهولة الحركة وتكامل الوظائف الحضرية، في حين يؤدي النمو العشوائي إلى فقدان الانسجام المكاني وتشويه النسيج الحضري.
كما أكد Harvey (2013) أن غياب العدالة المكانية والتخطيط الحضري المتوازن يسهم في تفاقم العشوائيات وتدهور البيئة الحضرية.
وبذلك يمكن القول إن الفرق الأساسي بين النوعين يتمثل في أن النمو المخطط يسعى إلى تحقيق التنمية الحضرية المستدامة، بينما يؤدي النمو العشوائي إلى اختلال استعمالات الأرض وضعف كفاءة المدينة وظيفياً وخدمياً.

المطلب الثاني
أسباب النمو الحضري العشوائي
تتعدد الأسباب التي تقف وراء ظاهرة النمو الحضري العشوائي، إذ ترتبط هذه الظاهرة بعوامل ديموغرافية واقتصادية وسياسية وتخطيطية متداخلة، تسهم مجتمعة في توسع المدن بصورة غير منظمة.

أولاً: الزيادة السكانية
تُعد الزيادة السكانية من أهم العوامل المؤدية إلى النمو الحضري العشوائي، إذ يؤدي ارتفاع عدد السكان إلى زيادة الطلب على السكن والخدمات وفرص العمل، الأمر الذي يدفع السكان إلى التوسع نحو أطراف المدن وإقامة مساكن عشوائية عند عدم قدرة الدولة على توفير وحدات سكنية ملائمة.
وقد أشارت تقارير UNDESA (2022) إلى أن المدن في الدول النامية تشهد معدلات نمو سكاني مرتفعة تفوق قدرة المؤسسات التخطيطية على استيعابها، مما يؤدي إلى انتشار المناطق العشوائية وتدهور الخدمات الحضرية.
وفي مدينة بغداد، أدى النمو السكاني المتسارع إلى ارتفاع الضغط على الأراضي الحضرية، الأمر الذي تسبب في توسع المناطق السكنية العشوائية على حساب الأراضي الزراعية والمفتوحة.

ثانياً: الهجرة الريفية إلى المدن
تُعد الهجرة الريفية من أبرز أسباب التوسع الحضري العشوائي، إذ يتجه السكان من المناطق الريفية نحو المدن بحثاً عن فرص العمل والخدمات الصحية والتعليمية وتحسين مستوى المعيشة. إلا أن هذا التدفق السكاني يؤدي إلى زيادة الضغط على المدينة وعدم قدرة القطاع السكني النظامي على استيعاب الوافدين الجدد.

وقد أوضح Al-Dulaimi (2020) أن الهجرة الداخلية نحو بغداد ساهمت بصورة كبيرة في اتساع المناطق العشوائية، خاصة في المناطق الطرفية التي تفتقر إلى الرقابة والتخطيط العمراني.
كما أن تراجع النشاط الزراعي وضعف فرص العمل في الريف العراقي دفع أعداداً كبيرة من السكان إلى الانتقال نحو بغداد، الأمر الذي أدى إلى زيادة الكثافة السكانية وظهور تجمعات سكنية غير نظامية.

ثالثاً: الأزمات الاقتصادية والسياسية
تلعب الأزمات الاقتصادية والسياسية دوراً مهماً في تفاقم النمو الحضري العشوائي، إذ تؤدي الحروب والأزمات الاقتصادية إلى ارتفاع معدلات البطالة والفقر وضعف قدرة الدولة على تنفيذ المشاريع السكنية والخدمية.

وقد شهد العراق خلال العقود الماضية ظروفاً سياسية وأمنية واقتصادية معقدة انعكست بصورة مباشرة على الواقع الحضري لمدينة بغداد، حيث أدى ضعف الاستقرار إلى زيادة التجاوزات العمرانية وانتشار البناء غير النظامي.

وأشار World Bank (2022) إلى أن المدن التي تعاني من أزمات اقتصادية وسياسية غالباً ما تواجه ضعفاً في إدارة النمو الحضري، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور عشوائيات واسعة النطاق وتراجع مستوى الخدمات العامة.

رابعاً: ضعف التخطيط الحضري والرقابة القانونية

يُعد ضعف التخطيط الحضري من أكثر العوامل تأثيراً في انتشار النمو العشوائي، إذ يؤدي غياب تنفيذ المخططات الأساسية وضعف الرقابة القانونية إلى التوسع العمراني غير المنظم.

وقد بينت دراسة Al-Quraishi (2021) أن مدينة بغداد شهدت تجاوزات كبيرة على استعمالات الأرض نتيجة ضعف تطبيق القوانين التخطيطية، الأمر الذي أدى إلى تغيرات مكانية غير متوازنة داخل المدينة.

كما أن غياب التنسيق بين المؤسسات المسؤولة عن التخطيط العمراني أدى إلى زيادة المشكلات الحضرية، مثل التداخل الوظيفي للاستعمالات وضعف شبكات النقل والخدمات.

المطلب الثالث

خصائص النمو الحضري العشوائي

يتميز النمو الحضري العشوائي بعدد من الخصائص العمرانية والوظيفية التي تعكس ضعف التنظيم الحضري واختلال استعمالات الأرض داخل المدينة.

أولاً: التوسع الأفقي غير المنظم

يُعد التوسع الأفقي العشوائي من أبرز خصائص النمو الحضري غير المخطط، إذ تمتد المناطق السكنية نحو أطراف المدينة بصورة غير منظمة ومن دون مراعاة للمخططات الأساسية.

وقد أدى هذا التوسع في بغداد إلى استهلاك مساحات واسعة من الأراضي الزراعية وتحويلها إلى مناطق سكنية، مما أثر سلباً في التوازن البيئي والإنتاج الزراعي داخل المدينة.

ثانياً: نقص الخدمات والبنية التحتية

تعاني المناطق العشوائية عادة من ضعف الخدمات الأساسية مثل الماء والكهرباء والصرف الصحي وشبكات الطرق، نتيجة نشأتها خارج إطار التخطيط الرسمي.

وأكدت تقارير UN-Habitat (2020) أن المناطق العشوائية تمثل بيئات حضرية هشة تعاني من ضعف البنية التحتية وارتفاع معدلات التلوث والفقر.

وفي بغداد، أدى انتشار العشوائيات إلى ضغط كبير على الخدمات العامة، إذ أصبحت شبكات الماء والكهرباء والطرق غير قادرة على استيعاب الزيادة السكانية المتسارعة.

ثالثاً: التجاوز على الأراضي الزراعية

يؤدي النمو العشوائي إلى تقلص الأراضي الزراعية بسبب تحويلها إلى استعمالات سكنية وتجارية. وتُعد هذه المشكلة من أبرز المشكلات التي تواجه مدينة بغداد، خصوصاً في أطرافها الريفية.

وقد أشارت دراسة Mustafa and Kareem (2023) إلى أن الزحف العمراني العشوائي تسبب في فقدان مساحات واسعة من الأراضي الزراعية المحيطة بمدينة بغداد خلال السنوات الأخيرة.

رابعاً: التداخل الوظيفي لاستعمالات الأرض

من خصائص النمو الحضري العشوائي حدوث تداخل غير منظم بين الاستعمالات السكنية والتجارية والصناعية، مما يؤدي إلى اختلال التوازن الوظيفي داخل المدينة.

ويظهر هذا التداخل في وجود الورش الصناعية داخل المناطق السكنية أو انتشار الأنشطة التجارية بصورة عشوائية، الأمر الذي ينعكس سلباً على البيئة الحضرية وصحة السكان وجودة الحياة داخل المدينة.

المبحث الثاني

النمو الحضري في مدينة بغداد وتطور استعمالات الأرض

يمثل النمو الحضري في مدينة بغداد أحد أهم الظواهر الجغرافية التي شهدت تطوراً متسارعاً عبر مراحل زمنية مختلفة، إذ ارتبط هذا النمو بمجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية والاقتصادية والسياسية التي أثرت بشكل مباشر في بنية المدينة وتوزيع استعمالات الأرض فيها. وقد أدى هذا التطور إلى تغييرات واضحة في الهيكل الحضري للمدينة، انعكست في توسعها المكاني وتنوع أنشطتها الوظيفية.

المطلب الأول: الموقع الجغرافي لمدينة بغداد وأهميته

أولاً: الموقع الفلكي والجغرافي

تقع مدينة بغداد في وسط العراق تقريباً على ضفتي نهر دجلة، ضمن إحداثيات فلكية تجعلها ضمن المنطقة المعتدلة مناخياً. ويمنحها هذا الموقع ميزة استراتيجية كونها نقطة وصل بين شمال العراق وجنوبه، وبين الشرق والغرب، مما جعلها مركزاً حضرياً رئيسياً منذ تأسيسها وحتى الوقت الحاضر.

ثانياً: الخصائص الطبيعية والبشرية

تتميز بغداد بسطح منبسط وتربة رسوبية خصبة، مع وجود نهر دجلة الذي يعد عاملاً أساسياً في نشوء وتطور الاستيطان الحضري. أما من الناحية البشرية، فهي أكبر مدينة في العراق من حيث عدد السكان، وتشهد كثافة سكانية عالية نتيجة الهجرة الداخلية وتوفر فرص العمل والخدمات.

ثالثاً: الأهمية الحضرية والاقتصادية

تعد بغداد العاصمة السياسية والإدارية والاقتصادية للعراق، حيث تضم الوزارات والمؤسسات الحكومية والمراكز التجارية والصناعية والخدمية. وقد أدى هذا الدور المركزي إلى جعلها نقطة جذب سكاني مستمرة، مما ساهم في تسارع النمو الحضري وتوسع استعمالات الأرض بشكل كبير.

المطلب الثاني: مراحل النمو الحضري في بغداد

أولاً: بغداد قبل عام 2003

شهدت هذه المرحلة نمواً حضرياً نسبياً منتظماً، حيث كانت المدينة تعتمد على مخططات أساسية تنظّم التوسع العمراني. ومع ذلك، بدأت بعض مظاهر التوسع غير المنظم بالظهور نتيجة النمو السكاني التدريجي والحاجة المتزايدة للسكن والخدمات.

ثانياً: التوسع الحضري بعد عام 2003

بعد عام 2003، تعرضت مدينة بغداد إلى تغيرات كبيرة في بنيتها الحضرية نتيجة التحولات السياسية والأمنية والاقتصادية، مما أدى إلى ضعف السيطرة التخطيطية وظهور توسع عمراني غير منظم. وقد نتج عن ذلك انتشار العشوائيات في أطراف المدينة بشكل واسع.

ثالثاً: التغيرات السكانية والعمرانية

شهدت بغداد زيادة سكانية كبيرة نتيجة الهجرة الداخلية والنمو الطبيعي للسكان، مما أدى إلى ضغط كبير على الأراضي الحضرية. وقد انعكس ذلك في توسع الأفقي للمدينة على حساب الأراضي الزراعية وظهور مناطق سكنية غير مخططة.

المطلب الثالث: أنماط استعمالات الأرض في مدينة بغداد

أولاً: الاستعمال السكني

يمثل الاستعمال السكني النسبة الأكبر من استعمالات الأرض داخل بغداد، وقد شهد توسعاً كبيراً نتيجة ارتفاع الطلب على السكن، خاصة في المناطق الطرفية التي أصبحت تستوعب النمو السكاني المتزايد.

ثانياً: الاستعمال التجاري

يتركز النشاط التجاري في مراكز المدينة والشوارع الرئيسة، إلا أنه توسع بشكل غير منظم في بعض المناطق السكنية، مما أدى إلى تداخل وظيفي واضح في استعمالات الأرض.

ثالثاً: الاستعمال الصناعي

تتركز المناطق الصناعية في أطراف بغداد، إلا أن بعض الأنشطة الصناعية الصغيرة بدأت تتداخل مع المناطق السكنية، مما تسبب في مشكلات بيئية وخدمية.

رابعاً: الاستعمالات الخدمية والترفيهية
تشمل المدارس والمستشفيات والحدائق والمرافق العامة، إلا أن توزيعها غير متوازن بين مناطق المدينة، حيث تعاني بعض الأحياء من نقص واضح في الخدمات الأساسية.
خامساً: الأراضي الزراعية والمساحات المفتوحة
شهدت الأراضي الزراعية تراجعاً كبيراً نتيجة الزحف العمراني، حيث تم تحويل مساحات واسعة منها إلى استعمالات سكنية وتجارية، خصوصاً في أطراف المدينة.

المبحث الثالث
تأثير النمو الحضري العشوائي على استعمالات الأرض في بغداد
يمثل النمو الحضري العشوائي أحد أبرز التحديات التي تواجه مدينة بغداد، إذ أدى إلى تغييرات عميقة في بنية استعمالات الأرض، وأثر بشكل مباشر في الجوانب العمرانية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية داخل المدينة.

المطلب الأول: التأثيرات العمرانية
أولاً: انتشار الأحياء العشوائية
أدى النمو العشوائي إلى ظهور أحياء سكنية غير مخططة في أطراف المدينة، تفتقر إلى أبسط مقومات التخطيط الحضري، مما أدى إلى تشويه النسيج العمراني العام.
ثانياً: اختلال التنظيم الحضري
أصبح توزيع استعمالات الأرض غير متوازن، حيث حدث تداخل بين الاستعمالات السكنية والتجارية والصناعية، مما أدى إلى فقدان التنظيم الوظيفي داخل المدينة.
ثالثاً: الضغط على شبكات النقل والطرق
أدى التوسع العشوائي إلى زيادة الضغط على شبكات الطرق والنقل نتيجة عدم توافق البنية التحتية مع النمو السكاني والعمراني المتسارع.

المطلب الثاني: التأثيرات البيئية والاجتماعية
أولاً: تلوث البيئة الحضرية
ساهم النمو العشوائي في زيادة التلوث البيئي نتيجة ارتفاع الكثافة السكانية وتداخل الأنشطة المختلفة وغياب التخطيط البيئي السليم.
ثانياً: تراجع المساحات الخضراء
أدى التوسع العمراني غير المنظم إلى تقليص المساحات الخضراء داخل المدينة، نتيجة تحويل الأراضي الزراعية إلى استعمالات سكنية.
ثالثاً: ارتفاع الكثافة السكانية
شهدت بغداد ارتفاعاً كبيراً في الكثافة السكانية، خاصة في المناطق العشوائية، مما أدى إلى ضغط كبير على الخدمات والبنية التحتية.
رابعاً: ضعف الخدمات الأساسية
تعاني المناطق العشوائية من نقص واضح في الخدمات الأساسية مثل الماء والكهرباء والصرف الصحي والتعليم والصحة، نتيجة عدم شمولها بالتخطيط الرسمي.

المطلب الثالث: المعالجات والحلول التخطيطية
أولاً: تحديث المخططات الأساسية للمدينة

ضرورة تحديث المخططات الحضرية بما يتناسب مع النمو السكاني الحالي والمستقبلي في مدينة بغداد.

ثانياً: حماية الأراضي الزراعية

وضع سياسات صارمة لمنع التجاوز على الأراضي الزراعية والحد من تحويلها إلى استعمالات عمرانية.

ثالثاً: تطوير البنية التحتية والخدمات

تحسين شبكات النقل والمياه والكهرباء والصرف الصحي في جميع مناطق المدينة، خاصة المناطق الطرفية.

رابعاً: اعتماد التنمية الحضرية المستدامة

تبني استراتيجيات تنموية تراعي التوازن بين النمو العمراني والحفاظ على البيئة والموارد الطبيعية.

خامساً: تعزيز الرقابة على التجاوزات العمرانية

تفعيل القوانين والرقابة البلدية لمنع البناء العشوائي والحد من انتشار العشوائيات.

9 النتائج

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج المهمة المتعلقة بظاهرة النمو الحضري العشوائي وتأثيرها على استعمالات الأرض في مدينة بغداد، وكما يأتي:

١. شهدت مدينة بغداد خلال العقود الأخيرة توسعاً عمرانياً سريعاً وغير منظم نتيجة الزيادة السكانية والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية.

٢. أدى النمو الحضري العشوائي إلى تغيّر واضح في أنماط استعمالات الأرض داخل المدينة، وظهور تداخل وظيفي بين الاستخدامات المختلفة.

٣. تراجعت المساحات الزراعية بشكل ملحوظ نتيجة الزحف العمراني السكني غير المخطط.

٤. ساهم ضعف التخطيط الحضري وعدم الالتزام بالمخططات الأساسية في زيادة التجاوزات العمرانية وانتشار العشوائيات.

٥. تسبب النمو الحضري غير المنظم في ضغط كبير على شبكات الخدمات والبنية التحتية مثل الماء والكهرباء والطرق.

٦. أدى التوسع العشوائي إلى ظهور مشكلات بيئية واجتماعية متعددة، أبرزها التلوث وارتفاع الكثافة السكانية.

٧. تعاني المدينة من اختلال وظيفي واضح في توزيع استعمالات الأرض بين السكني والتجاري والصناعي والخدمي.

10 الاستنتاجات

استناداً إلى النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يمكن استخلاص ما يأتي:

- إن ظاهرة النمو الحضري العشوائي في بغداد تمثل تحدياً تخطيطياً وتنموياً كبيراً يهدد استقرار البنية الحضرية للمدينة.
- توجد علاقة مباشرة بين ضعف الإدارة الحضرية وغياب الرقابة التخطيطية وبين تفاقم التوسع العمراني العشوائي.
- أصبحت استعمالات الأرض في مدينة بغداد تعاني من عدم التوازن الوظيفي نتيجة غياب التخطيط الحضري المستدام.
- إن استمرار النمو العشوائي دون معالجة فعالة يؤدي إلى تفاقم المشكلات البيئية والخدمية والاجتماعية داخل المدينة.
- تتطلب معالجة هذه الظاهرة اعتماد سياسات حضرية شاملة وتدخلات تشريعية وتنظيمية متكاملة.
- التوصيات

في ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج واستنتاجات، توصي بما يأتي:

إعداد وتحديث المخططات الحضرية لمدينة بغداد بما يتناسب مع معدلات النمو السكاني الحالية والمستقبلية.
تفعيل القوانين والتشريعات الخاصة بمنع التجاوز على الأراضي العامة والزراعية بشكل صارم.
إنشاء مشاريع إسكان نظامية ومدروسة للحد من انتشار المناطق العشوائية.
تعزيز استخدام نظم المعلومات الجغرافية (GIS) وتقنيات الاستشعار عن بعد في متابعة التغيرات الحضرية.
تطوير شبكات النقل والخدمات العامة في المناطق التي تعاني من ضعف البنية التحتية.
زيادة المساحات الخضراء داخل المدينة للحد من التدهور البيئي وتحسين جودة الحياة الحضرية.
دعم برامج التنمية الحضرية المستدامة لتحقيق التوازن بين النمو العمراني والحفاظ على الموارد الطبيعية.

أولاً: المصادر العربية

1. Al-Azzawi, A. H. (2018). *Urban expansion and land use changes in Baghdad City*. Baghdad University Press.
2. Al-Dulaimi, M. A. (2020). Internal migration and slum expansion in Baghdad City. *Iraqi Journal of Urban Studies, 12*(2), 44–59.
3. Al-Janabi, S. K. (2017). *Urban slums and social transformations in Baghdad*. University of Baghdad Press.
4. Al-Quraishi, T. H. (2021). Spatial analysis of land use changes in Baghdad City between 2003 and 2020. *Arab Journal of GIS and Urban Planning, 5*(3), 112–129.

ثانياً: المصادر الأجنبية والدولية

5. Knox, P. L., & McCarthy, L. M. (2012). *Urbanization: An introduction to urban geography*. Pearson.
6. Pacione, M. (2009). *Urban geography: A global perspective*. Routledge.
7. Hall, T. (2014). *Urban geography*. Routledge.
8. Harvey, D. (2013). *Rebel cities: From the right to the city to the urban revolution*. Verso Books.
9. Lynch, K. (1960). *The image of the city*. MIT Press.
10. UN-Habitat. (2020). *World cities report 2020: The value of sustainable urbanization*. United Nations Human Settlements Programme.
11. UNDESA. (2022). *World urbanization prospects 2022*. United Nations.
12. World Bank. (2022). *Urban development and sustainability in the Middle East*. World Bank Publications.